الدرر المقدسية
منبر فلسطين للعلم والدعوة والتربية

مجلة الدرر المقدسية

مجلة دعوية تربوية، تصدر شهرياً عن مؤسسة الدرر المقدسيـة | العدد (39) - أيار مايو 2025م

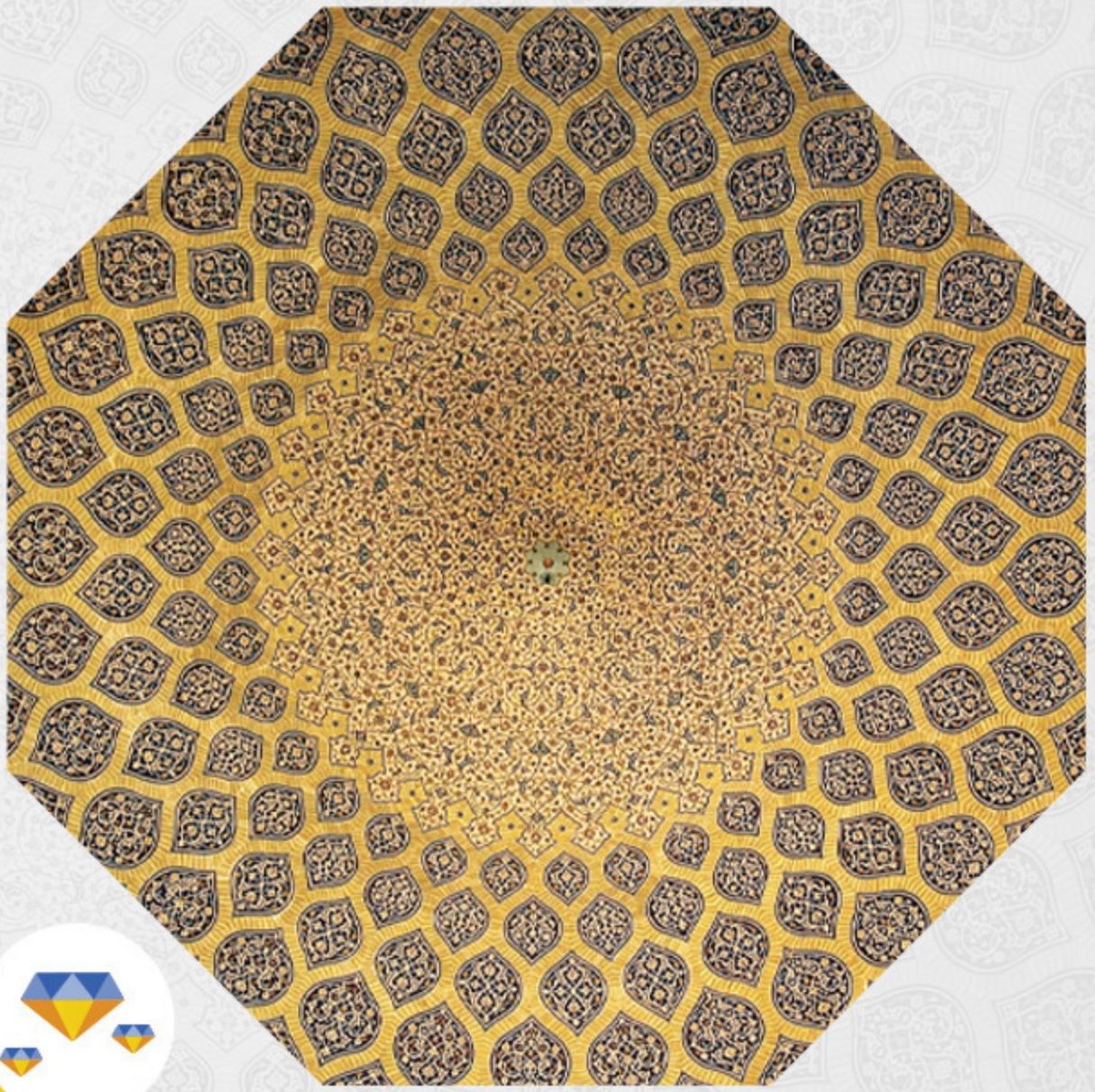

إيّاك أن تساوم فالإسلام قادم
أ.د. محمّد الشريدة

الثبـــات على القيم في بيئة غير مستقرة
د. مهنا نعيم نجم

احذروا الصّنميّة الدّعويّة
د. عبدالسلام أبوسمحة

أهل العلم وتحديات المرحلة
د. ضرغام الجرادات

ما دورك كفرد في ظل عجز الأمة؟!
أ. أحلام سليم

الفهرس

الفهـــــرس.....01

الافتتاحيـــــة 02

إيّاك أن تساوم فالإسلام قادم، أ.د. محمّد حافظ الشريدة 03

احذروا الصّنميّة الدّعويّة، د.عبدالسلام أحمد أبوسمحة.....04

الثبات على القيم في بيئة غير مستقرة، د. مهنا نعيم نجم.....05

رباعية الثبات في حرب الإبادة، أ. محمد أبو العبد الريماوي 07

ما دورك كفرد في ظل عجز الأمة؟!، أ. أحلام محمد سليم 08

من يهن يسهل الهوان عليه، أ. أحمد مكحول.....10

أهل العلم وتحديات المرحلة، د. ضرغام عيسى الجرادات.....12

الابتلاء بالمحن والجزاء بالمنن - وَانْتَصَرَ الطُّوفَان.....13

قصيدة بعنوان: (أنا القدس أوطاني)، أ..نواف العامر 16

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

الإخوة والأخوات قرّاء مجلتنا الغرّاء... نطلُّ عليكم اليوم في عددٍ جديدٍ من مجلتنا الغرّاء – مجلة الدرر المقدسية – حاملين شعلةَ الحق، داعين إلى اليقظة، ومذكرين بأن قضيتنا الأولى والأخيرة... فلسطين. ففلسطين ليست حجرًا يُسرق أو تاريخًا يُمحى، بل هي دمٌ في عروق الأمة، وجوهرٌ في هويتها، وآية في كتابها، ولقد باتت قضية فلسطين اختبارًا للإيمان، وامتحانًا للضمير، فإمّا أن نكون أمناء على الوصية، أو نكون ممن قال فيهم الشاعر:

وَإِذَا الْأَرْضُ أُسِرَتْ بِالضُّيُـــوفِ ***وَالْحِجَارَةُ صَارَتْ دَمْعَةَ الْيَتِيمِ
فَأَيْنَ الْمُسْلِمُونَ؟ أَيْنَ الْحَمِيَّةُ؟ *** أَيْنَ نَارُ الْجِهَادِ وَسَيْفُ الْكَرِيمِ؟

نلتقي اليوم بمقالاتٍ ليست كلماتٍ تُقرأ، بل هي صرخةٌ في وجهِ الغافلين، وتذكيرٌ للناسين، وموعظةٌ للذاكرين المخلصين، كلماتٌ ومقالاتٌ كُتبت بأحرفٍ من نور، ومدادٍ غذته دماء الشهداء الذين يرتقون في سماء فلسطين.

تنبثق هذه الكلمات والمقالات من أصالة الدين، ونقاء الفكر، وشموخ القضية ... فهي صوت يجمع بين الوجدان والعقل، بين الحبر والدمع، ليبني جيلًا يعرف أن طريق الحرية يبدأ بسجدةٍ صادقة، ومن وعيٍ عميق لا تضلله العناوين البراقة، ولا تخدعه الأماني الكاذبة.

أيها القرّاء الكرام.. مهما ادلهمّت الخطوب، وتكالب العالم على فلسطين وأهلها، ورغم تخاذل القريب وظلم البعيد، فإن الأمل بالله لا ينقطع، والثقة بموعد الله ثابتةٌ ثباتَ جبالِ فلسطين، وراسخةٌ رسوخَ الزيتونِ والتين. ونحن دوماً متمسكون بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ {آل عمران: 139}؛ فمن رحم المعاناة يخرج الأمل، ومن وسط الحلكة والظلمة يبزغ الفجر ساطعًا. فنحن لسنا مطالبين بتحقيق النصر، بل المطلوب منا هو العمل والتضحية والفداء. أما النصر وتحقيقه فهو بيد الله وحده: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ {آل عمران: 126}. وصدق من قال:

فَلَا تَقُلْ: "مَتَى؟" فَالنَّصْرُ يَأْتِي وَلَكِنْ قُلْ: "كَيْفَ أَبْنِي؟" وَانْطَلِقْ

إيّاك أن تساوم فالإسلام قادم

أ.د. محمّد حافظ الشريدة

عضو مجلس الإفتاء في القدس ومفتي نابلس سابقًا

الحمد للّه حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه كما أمر والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد خير البشر من العرب والعجم والبربر أمّا بعد: فيقول اللّه تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ أي: سبق قضاء المليك المقتدر الذي له وحده الخلق والأمر لعباد اللّه من المرسلين وكلّ من تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين أنّ لهم الغلبة والتّمكين والفتح المبين والنّصر العظيم على أعدائهم من الكافرين تارة بقوّة السّلطان والسّنان وتارة بالحجّة والبيان!

ومن المعلوم أيّها الأحبّة المباركون أنّ جند ربّ العالمين من المجاهدين هم الغالبون لأعدائهم المجرمين في أيّ مكان وحين وفي أيّ مقام ومجال باعتبار حسن العاقبة والمآل وهذه بشارة عظيمة من المولى لعباده النّشامى خيرة الرّجال والدّعاة الصّادقين الصّالحين المصلحين الميامين الأبطال بأنّ من كانت أحواله مستقيمة وسعى لتكون كلمة اللّه هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السّفلى وليس لغرض دنيويّ أو الحصول على الغنيمة فإنّه غالب منصور وسعيه مبرور مشكور من ربّ رحيم غفور والحقّ يقال معشر المؤمنين من الرّجال: إنّ هذا الوعد الصّادق بالنّصر والتّمكين لا يتعارض مع هزيمتهم أحيانًا كما حدث في موقعة أحد حين نزل الرّماة عن أشهر الجبال: لأنّ هذه الهزيمة المادّيّة هي من أنواع التّمحيص والابتلاء الذي قدّره فاطر الأرض والسّماء ليتميّز قويّ الإيمان من غيره من الجبناء! ولا جرم أيّها الإخوة الفضلاء أنّ النّصر في نهاية المطاف للعباد المؤمنين الصّادقين الصّابرين المصابرين المرابطين المتّقين وَالتّاريخ أكبر شاهد على ذلك معشر المسلمين! فقد فتحت مكّة المكرّمة ودخل العرب أجمعين في هذا الدّين بعد أن جاهد الصّادق الأمين ﷺ هو والصّحابة الكرام رضي اللّه عنهم أجمعين وانتصروا على أعداء اللّه الكافرين!

قال ابن عاشور في تفسير قوله: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ في هذه الآية بشارة للمؤمنين فإنّ المؤمنين جند اللّه أي أنصاره لأنّهم نصروا دينه وتلقوا كلامه كما سمّوا بحزب اللّه في قول اللّه: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} وقوله: ﴿لهُمُ الغالِبُـــونَ﴾ يشمل علوّهم على عدوّهم في مقام الحِجاج وفي ملاحم القتال في الدّنيا وعلوّهم عليهم في الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ و﴿المَنصُورونَ﴾ أي: في أكثر الأحوال باعتبار العاقبة فلا ينافي أنّهم يُغلبون نادرًا ثمّ تكون لهم العاقبة)! وما دام ذلك كذلك فارفع رأسك أخي المرابط وإيّاك إيّاك أن تساوم فالإسلام وربّ البيت قادم وليكن معلومًا لديكم أنّ الصّراع على فلسطين درّة بلاد الشّام ليس صراع مياه وحدود بل صراع شريعة ووجود وقد استهانت (فصائل وطنيّة) مع الأسف الشّديد بعقيدة التّوحيد ونحّت الشّريعة الإسلاميّة عن ميادين الحياة اليوميّة وتبنّت العلمانيّة واليساريّة والقوميّة الرّأسماليّة.. لن ننتصر على الغاصبين ولن تعود أولى القبلتين طالما رفع الرّعاة أو الرّعيّة رايات جاهليّة! إنّنا نقولها بكلّ صدق وأريحيّة وبكلّ شجاعة أدبيّة: لن تتحرّر ديارنا الإسلاميّة إلا إذا أعلنتها الحكومات الإسلاميّة والعربيّة: إسلاميّة لا شرقيّة ولا غربيّة.. ونحن قوم أعزّنا ربّ البريّة بهذا الدّين ومهما ابتغينا العزّة بغيره أذلّنا الله. إنّ الذين يلهثون باستمرار ممّن يعشق الدّولار ويدور مع المال حيث دار.. لن ينالوا سوى المزيد من الخزي والعار والشّنار! إنّ أرض المحشر والمنشر إسلاميّة قبل الاحتلال وما بعده ومستحيل أن تتحرّر بغير دين اللّه العزيز المقتدر! لقد اندحرت جيوش الصّليبيّين على يد السّلطان البطل صلاح الدّين في معركة حطّين ومعلوم أنّ صلاح الدّين الأيّوبيّ ليس بفلسطينيّ ولا بعربيّ -ولكنّه مسلم كرديّ- حرّكته عقيدته فنادى في النّاس حيّ على الفلاح حيّ على الكفاح فلبّى المسلمون نداءه ثمّ أتوا زرافات ووحدانًا لتحرير أولى القبلتين وثاني مسجد بني في الأرض للمصلّين العابدين وثالث المسجدين الشّريفين وبعد ذلك انتصر الحقّ على الباطل في أمّ المعارك حطّين وتلا فم الزّمان أنشودة النّصر التي صيغت على لحن النّضال وقد وقف التّاريخ زاهيًا بهذا الانتصار ثمّ سجّله بمداد من أنوار على صحائف من قلوب الأبرار الأطهار! قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ وقال رسول اللّه ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها وإنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي مِنْها وأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ والأَبْيَضَ وإنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتي أنْ لا يُهْلِكَها بسَنَةٍ عامَّةٍ وأنْ لا يُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا مِن سِوَى أنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وإنَّ رَبِّي قالَ: يا مُحَمَّدُ! إنِّي إذا قَضَيْتُ قَضاءً فإنَّه لا يُرَدُّ وإنِّي أعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أنْ لا أُهْلِكَهُمْ بسَنَةٍ عامَّةٍ وأنْ لا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا مِن سِوَى أنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ ولَوِ اجْتَمَعَ عليهم مَن بأقْطارِها حتَّى يَكونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا ويَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا}

احذروا الصّنميّة الدّعويّة

د.عبدالسلام أحمد أبوسمحة
عضو هيئة تدريس في كلية الشريعة/ جامعة قطر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على الرحمة المهداة سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد؛ فإن من أخطر ما تقع فيه الدّعوات -أعمّم ولا أخصّص- أن تُصاب بـ "حالة صنميّة" تصنعها الرّتابة الدّعويّة، والروتين المستمر دون حركةٍ تجديدية تُخرجها من الأطر المحنطة لجهودها إلى آفاق التطور والنمو والمبادرات المستجيبة للظروف المستجدة، وهذا أمر قد يشعر به أبناء الدّعوات، أو لا يشعرون في ظل حالة الاعتياد المؤنسة للقعود.

وللصّنميّة الدّعوية مظاهر متعدّدة، من أخطرها:

أولًا: صنميّة الوسائل والهياكل:

ثمّة دعوات أضحت أسيرة هياكلها ومسمّياتها التنظيمية، تجاوزت الغاية الّتي انطلقت لأجلها، وانشغلت بتقديس الوسائل حتّى صارت غاية في ذاتها، فغابت الأهداف الكبرى في ظلال الشّعارات والرّسوم. قال تعالى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمّد: 38].

ثانيًا: صنميّة الأشخاص والمشايخ:

وثمّة دعوات نصّبت مشايخها ورموزها مقام القداسة، لا يُذكرون إلا بالتّبجيل، ولا يُعرفون إلا بالموالاة والتّبرّؤ، حتّى صار النّاس يُختبرون بموقفهم منهم، وتُحاكم ولاءاتهم بمعيار الأسماء لا بمعيار المبادئ، وقد قال النّبيّ ﷺ: لا تطروني كما أطرت النّصارى ابنَ مريم، فإنّما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله» [رواه البخاريّ].

مهمة هذا النوع من الدعوات خطيرة إذ التعلق بالذوات يُلغي فكرة الدعوات، ويصبح المتمحور حول الذوات؛ فإذا ما قضت إلى ربها، تحول العطاء إلى التقديس، والتطوير إلى الرثاء؛ فتجمد الأفق على أعتاب هذا الشيخ، وبهذا تتعطل الدعوات على حالة تأبينية برهانية على منزلة الشيخ وسيرته، وهذا ليس عمل الدعوات، بل عمل كتب التاريخ والسير.

ثالثًا: صنميّة الأفكار والمقولات:

وثمّة نمطٌ آخر من الدعوات أسرت نفسها داخل منظومات فكريّة جامدة، رغم تقادم الزّمان، وتغيّر الأحوال، ووضوح الخلل، إلّا أنّها تصرّ على الدّفاع عن تصوّرات مهترئة، وقد غفلت أنّ الفكرة وسيلة، والحقّ غاية، والوسائل إذا قصرت عن بلوغ الغاية؛ وجب تعديلها، لا تقديسها.

لكن، سنّة الله ماضية لا تحابي أحدًا: {فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر: 43].

مهما طال أمد الصّنميّة، فإنّ التّغيير السّننيّ كفيل بتجاوزها، سواء حصل ذلك بيد أبناء الدّعوة أنفسهم، أو بيد غيرهم، شاؤوا أم أبوا، وفي دورهم أو في دور غيرهم.

من هنا، فإنّ النّضوج الدّعويّ والفكريّ، يقتضي:

1) دقّة التّقييم للواقع.
2) فهم التّحولات والمستجدّات.
3) استشراف المستقبل بعيون بصيرة.
4) التّخطيط الرّاشد للوصول إلى الغايات.
5) التّحرّر من تقديس الوسائل والأشخاص والأفكار.

{اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: 3].

ولينتبه أبناء الدّعوات: إنّ الله ينصر دينه بصفاء الغاية، وصدق الوسيلة، وتجرّد القلوب، لا بكثرة الهياكل، ولا بجلالة الأسماء، ولا بزخرفة الشّعارات. {وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحجّ: 40].

الثبـــات على القيم في بيئة غير مستقرة

د. مهنا نعيم نجم
عضو الهيئة الإسلامية العليا – القدس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن اتباع المنهج النبوي وأساليبه فيه اقتداء بالنبي ﷺ، الذي هو أسوة حسنة لنا، لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21]. ويترتب على ذلك حصول الأجر العظيم من الله تعالى إذا خلصت النية.

ومن خلال استعراض مواقف الثبات على القيم، وما يجده المسلم بذلك من أجر وثواب، ثم نصر وتمكين، يجدر بنا أن نتدارسها ونتخذها نهجًا في الحياة.

إن بعض المنهزمين الذين يتخلون عن قيمهم سرعان ما يندمون على ذلك عاجلًا أو آجلًا، إذ إن المسلم بقيمه التي تشربها مع عقيدته الخالصة لله تعالى، كان له برسول الله ﷺ أسوة حسنة. وليس الإنسان غير المسلم ببدعٍ من الزمن، بل تجد بعضهم يدافع عن قيمه ومبادئه، بل ويموت في سبيلها. أفلا يكون المسلم أولى بذلك الثبات، وأحق بحمل لواء حماية قيمه؟

إن التوجيهات الربانية في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة تُعَدُّ العنصر الأساسي في تدعيم ركائز بناء المجتمع. ثم إن دور الأخلاق في تثبيت القيم الإنسانية لا يقل أهميةً في الحفاظ على أمن المجتمع وسلامة أهله، إذ إن الإنسان يتميز بالقيم، ويترك بصمة واضحة في إصلاح المجتمع.

"ولعل الإسلام هو أوفى الأديان والشرائع عنايةً بتوازن القوى المختلفة في المجتمع، وبناء الأمم بناءً متراصًا لا وهن فيه ولا ثغرة ولا اختلال... حتى لترى المسلم الحق قويًّا في كل ناحية من نواحي حياته." (السباعي، د. مصطفى، أخلاقنا الاجتماعية، القاهرة، دار السلام، ط2، سنة 2005م)

والقيم: هي مجموعة المبادئ والتعاليم والضوابط الأخلاقية التي تحدد سلوك الفرد، وترسم له الطريق السليم الذي يقوده إلى أداء واجباته الحياتية ودوره في المجتمع الذي ينتمي إليه. وهي إلى جانب ذلك السياج المنيع الذي يحميه من الوقوع في الذنب، ويحول بينه وبين ارتكاب أي عمل يخالف ضميره أو يتنافى مع مبادئه وأخلاقه. وهي أداة اجتماعية للحفاظ على النظام والاستقرار المجتمعي.

والقيم هي التي تؤثر في بنائنا العميق، فهي مرجعية حكمنا على ما هو منكر أو فاضل، صحيح أو خطأ، وهي غالبًا ما تكون لا واعية. وتختلف القيم من مجتمع إلى آخر، كما تختلف من شخص إلى آخر، لكنها بالإجماع شيء أساسي لكل إنسان ولكل مجتمع يسعى لبناء نفسه وتطوير بنيته الاجتماعية والاقتصادية، وتنشئة أجيال مخلصة لوطنها.

إن القيم تُعَدُّ قضية العصر، خاصة في ظل ما نلحظه من تشوهات السلوك الإنساني المعاصر، وغلبة القيم الفردية والمادية، واضمحلال القيم الروحية والجمالية. "فغيرنا يربط قيمه وسلوكه والأخلاق عامة بما يثمر متعة أو منفعة، فما جلب متعة فهو خير، وما جلب نقصًا في المنافع أو المتع فهو شر وباطل... بينما للإسلام خصائص في المنهج الأخلاقي؛ يتميز بميزتين كبيرتين: إحداهما اعتبار القيم الأخلاقية ذات قيمة ذاتية لا تزول عنها، وإن لم يظهر لها نفع أحيانًا، أو كان التزامها مؤلمًا في بعض الظروف... وأما الميزة الكبرى الأخرى فهي ربط مفردات القيم الأخلاقية بالإيمان بالله واليقين بلقائه وجزائه في يوم لا شك فيه." (موسوعة الأسرة، دولة الكويت، الديوان الأميري، ج2، ط1، 2004م)

لذلك، فإن قضية القيم شغلت اهتمام التربويين لأنها مهمة صعبة تتحدى كل مُربٍّ وأب وأم، خاصة في ظل ما يتعرض له الناشئة في عصر الانفتاح والعولمة.

ثم إن تعليم القيم الفاضلة أمرٌ حث عليه القرآن الكريم: {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: 9]. وكذلك في السنة النبوية المطهرة، عن النبي ﷺ قال: "إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق" [أخرجه أحمد].

فتعليم القيم أصبح فريضةً ينبغي الاهتمام بها، ومسؤوليةً يتحملها الجميع دون استثناء. فهي تُعَدُّ أكبر تحدٍّ نواجهه لمدى قدرتنا على تربية أطفالنا ليكونوا أفرادًا صالحين في ذواتهم وأفكارهم ومشاعرهم.

"إن التمسك بالقيمة والثبات عليها لا يمكن تجزئته، بحيث يأخذ الفرد ما وافق هواه ومصلحته ويترك ما خالف الهوى والمصلحة. وهذا المفهوم يشير إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: {ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: 85].

وبعد هذه المفردات البسيطة عن القيم والثبات عليها، يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: كيف يكون الثبات؟

الثبات القولي: وهو يظهر حسب مواقف الحياة المختلفة، إما في إظهار المعتقد، أو الدفاع عن حق، أو بيان الحقيقة. وقد قال ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" [رواه مسلم]. وكان هذا في معرض حديثه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقيمة من القيم التي يعيش بها المسلم ويثبت عليها.

الثبات الفعلي: كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: 45].

الثبات القلبي: كما في قوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل: 106].

اجتماع الثبات القولي والفعلي والقلبي: كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: 173].

إن المسلم المعاصر يواجه تحديات كثيرة من قطار العولمة المنطلق بأدوات الإعلام والاقتصاد والتجارة الدولية والإنترنت والفضائيات. ولا سبيل له في مواجهة هذه التحديات إلا بالثبات على القيم الإسلامية والتمسك بها. وهذا بلا شك يحتاج إلى جهد وصبر كبيرين، لكنهما يهونان في مقابل الخير والأجر العظيم الذي يدخره الله عز وجل له، خاصة إذا علمنا أن المسلم يؤجر بترك المحرمات كما يؤجر بأداء الطاعات. (مقال، سلطان الدويفن، بعنوان/ الثبات على القيم)

رباعية الثبات في حرب الإبادة

أ. محمد أبو العبد الريماوي
مدرس وإمام وخطيب

مع هول المجازر وحرب الإبادة المستمرة في قطاع غزة، التبست الأفهام، وحارت العقول، وتشوشت أفكار كان يظنها أصحابها من المسلمات. ولأجل ذلك، أقف في هذا المقال على أربعة مرتكزات تشكل أعمدة لبناء فهم المسلم، فهمًا يعصمه من الزلل وتشويش الغوغاء، بل يزرع في وجدانه رسوخ اليقين المبصر للحقائق والمحفّز للعمل، ويضيف سهمًا جديدًا في جعبة أهل الإيمان.

أولًا: صراع ممتد

إن الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل، ممتد امتدادًا عميقًا في البشرية منذ مطلعها، أيام كانت أعدادها ضئيلة متناهية في الصغر، فوقعت حادثة القتل الأولى بين ابني آدم عليه السلام. بل إن العداوة لآدم عليه السلام بدأت قبل ذلك في الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ﴾. ثم كان لكل نبي من أنبياء الله وأوليائه وأصفيائه عدو من المجرمين، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

وهكذا سيبقى الصراع بين الحق والباطل، والنور والظلام، وما ينتج عنه من آلام وجراحات، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ونحن في ذلك ممتحنون في اصطفافاتنا واختياراتنا، ومأمورون بأن نكون أقوياء مع الحق وأهله. كما جاء في القرآن حكاية عن أنبياء قُتلوا ومن معهم من قيادات الصف الأول من الربانيين، فما كان حالهم وحال أتباعهم إلا كما قال تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

ثانيًا: ربط بين الدنيا والآخرة

عندما نرى المجازر والجراحات وأفعال الإبادة أمام العالم، فتطيش العقول، وتزيغ الأبصار، ويتزلزل الحق في النفوس، يوقظنا الإيمان وهو يذكّرنا أن الدنيا قنطرة إلى الآخرة، وأنها محطة اختبار للحياة الحقيقية في نعيم أبدي لأهل الإيمان، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فنستوعب حينها قول النبي صلى الله عليه وسلم: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». ونستوعب ما روي عنه عليه السلام: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ»، وهكذا يصبح همّنا الفوز برضوان الله من خلال السير على المنهج الذي يرضيه، ثم نلقي عليه الله كل همنا ونتائج سيرنا على طريق الحق ، فالأمر بيده، وهو الذي يقود التاريخ نحو تحقق المآلات الحتمية، ومنها تحرير الأرض المباركة من الإفساد. وبدون هذا الربط بين الدنيا والآخرة، تزل الأقدام بعد ثبوتها.

ثالثًا: جهادنا في فلسطين جهاد دفع لا جهاد طلب

وهذا مرتكز يلمح إلى صوابية المنهج ويغرس الاطمئنان إلى الطريق. فقد فرّق علماؤنا بين جهاد الطلب، الذي يهدف إلى إزالة العوائق أمام الدعوة والدفاع عن المستضعفين في البلدان الأخرى، ووضعوا له شروطًا معينة لتحقيق المصلحة ودرء المفسدة، وبين جهاد الدفع، الذي يدفع فيه المسلم أذى نزل به واستحل أرضه وأهله ومقدساته. وهذا ما حصل في فلسطين، حيث احتُلت بلادنا، وعاث الاحتلال فيها فسادًا وقتلًا وانتهاكًا وتدنيسًا للمقدسات. لذا، فإن جهاد شعبنا في كل تاريخه إلى يومنا هذا ليس جهاد طلب، بل هو جهاد دفع. وقد قال النبي عليه السلام في الحديث لرجل سأله: «أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: قَاتِلْهُ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: فَأَنْتَ شَهِيدٌ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: هُوَ فِي النَّارِ». وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾. فواقع شعبنا الفلسطيني ليس باختياره، بل اصطفاء رباني بأن يكون على هذه الأرض في ظل واقع مفروض عليه ومُختبر فيه، حتى يأذن الله بتحقيق وعده: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾. وكيف دخلوه أول مرة؟ قال تعالى: ﴿عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾.

رابعًا: عدونا عدو إحلالي

ثمة عدو مختلف هنا، يسعى بكل جهده لإحلال نفسه مكان شعبنا الفلسطيني. وهذا يعني أن شعبنا لو رفع الرايات البيضاء، فإن مشروع الاحتلال بأحلامه التوراتية التوسعية سيستمر حتى بناء هيكلهم المزعوم وتهجيرنا من أرضنا. أما الخيار الثاني، فيشكل كوابح وحسابات تعيق مخططاته، ويبقي جذوة هذه القضية حية في نفوس المسلمين.

وفي الختام: فلسطين قضية رابحة بالوعد الرباني: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾. فالاستثمار في طريق ومنهج تحقيق الوعد الرباني يحمل في طياته بزوغ فجر لا محالة قادم. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۗ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

ما دورك كفرد في ظل عجز الأمة؟!

أ. أحلام محمد سليم
طالبة دكتوراة أصول دين

في ظلّ مخاض الأمّة العصيب، وما نشهده من ظروف وأهوال تُصيبُ إخواننا وأهلينا في غزّة العِزّة، يتملّكنا شعورٌ من العجز؛ ذلك العجز الذي استعاذ منه نبيُّنا الكريم ﷺ فيما ورد عن أنس رضي الله عنه: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ.

ذلك العجز الذي امتلأت به أحداث العهد المكي من السيرة النبوية المشرفة بعد الجهر بالدعوة، حيث تفنّن كفار قريش حينها بإذاقة المسلمين الموحّدين أصناف العذاب المتنوّعة، والمسلمون في قمّة ضعفهم وألمهم. فها هم آل ياسر يلاقون الويلات من أبي جهل وأعوانه في سبيل نُصرة دينهم، والنبي صلى الله عليه وسلم يراهم ولا يملك نُصرةً لهم ولا مَنَعة، فلا يزيد عن قوله لهم: صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةُ.

وهذا خبّاب بن الأرتّ يأتي شاكيًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ظلم الظالمين، واستقواء الكافرين على المستضعفين من المؤمنين، فلا يملك له النبي ﷺ حَولًا ولا قوّة، إلا بَثّ الأمل في قلبه بحتميّة عزّ الإسلام والمسلمين: وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ.

بل وهذا النبيُّ بمكانته وشرفه صلوات ربي وسلامه عليه، يلاقي ما لاقاه المسلمون من ألوان العذاب، والصحابة من حوله لا يملكون نُصرةً له ولا حماية. فقد رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ... فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ لَطَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فانظر كيف كان شعور عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو يرى رسول الله ﷺ في هذا الموقف، ويتمنى لو استطاع أن يفعل شيئًا، فيقول: (لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ لَطَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ)، ولكنّه لم يكن له يومئذٍ مَنَعة؛ فوقف ينظر عاجزًا، يشهد الله على ما في قلبه من ألم وتوجُّع على ما رأى، لعلّه يُعذَر إلى الله بحرقة قلبه على حبيبه وقُرَّة عينه ﷺ.

ولعلنا نبدأ من هنا الإجابة عن هذا السؤال الذي يحاصر تفكير كلّ مَن كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمان اليوم؛ ما دورنا في ظل هذا العجز الذي تحياه الأمّة اليوم، وقد تخاذل الجميع عن هذه الثلّة المؤمنة المباركة في أكناف بيت المقدس؟!.

أخي المسلم، اعلم أن الله مدبّر نواميس الكون، وهو مُطّلِعٌ على ما يدور في هذه البقعة المباركة من الأرض، وهو سبحانه عليمٌ بخفايا صدورنا. فلا أقلّ من أن يرانا متألّمين لمصاب إخواننا، لاهجة قلوبنا قبل ألسنتنا بالدعاء لهم وتمنّي نصرتهم. فإيّاك أن تُحْرَم أجرَ صدق النيّة في نُصرة المستضعفين من المؤمنين؛ فقد قال رسول الله ﷺ لأصحاب الأعذار من المتخلّفين عن غزوة تبوك:إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ.

ولكن تيقَّظ وتَفَطَّنْ أن لا تجعل من ذلك الشعور طريقًا للركون والقعود عن النصرة. فالله أعلم بإمكانيات كل فرد منا، فمن كان له مقدرة على أي نوع من النصرة فقد وجبت عليه.

وانظر إلى موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه في المرحلة نفسها التي تحدثنا عنها في بداية مقالنا – مرحلة الاضطهاد والتعذيب في مكة – كيف استطاع أن يخفف من آلام المسلمين بما آتاه الله من قدرة مالية. فقد كان أبو بكر تاجرًا غنيًّا في قريش، فقرر رضوان الله عليه أن يجعل من ماله طريقًا لنصرة الإسلام، فأخذ على عاتقه أن يعتق ما استطاع من العبيد المسلمين الذين كانوا يتعرَّضون للأذى من أسيادهم، حتى وإن كلَّفه ذلك ماله كله. فها هو رضوان الله عليه يفدي بلال بن رباح رضي الله عنه بماله ليعتقه من عذاب أُبَيِّ بن خلف. عن قيس بن أبي حازم البجلي قال:»اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ – يَعْنِي بِلاَلًا – بِخَمْسِ أَوَاقٍ وَهُوَ مَدْفُونٌ بِالحِجَارَةِ. قَالُوا: لَوْ أَبَيْتَ إِلَّا أُوقِيَّةً لَبِعْنَاكَهُ. فَقَالَ: لَوْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مِائَةَ أُوقِيَّةٍ لَأَخَذْتُهُ«.

وقد جاء في الأحاديث عن فضل أبي بكر في نصرة الإسلام في تلك المرحلة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال»: مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَأْنَاهُ، مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ. وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ «رواه الترمذي، وصححه الألباني.

وهكذا نرى أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكتفِ بالدعاء وصدق النية لنصرة دين الله – على أهميتهما – بل انطلق بما استطاع من مقدرة جزئية في دفع الضرر والعذاب عن المسلمين المضطهدين. ولذلك، حريٌّ بنا أن نقتفي خطى أبي بكر رضي الله عنه في نصرة دين الله بما استطعنا من إمكانيات، وكلٌّ منا أعلم بإمكانياته:

- فالأمُّ عليها واجب نصرة دين الله بتربية أبنائها على حب أهل الحق والذود عن حمى الإسلام متى ما توفَّر السبيل إلى ذلك – ولا تدري لعلَّ ذلك يكون قريبًا -.
- والغنيُّ عليه واجب نصرة دين الله بماله بما يخفف عن المسلمين مصابهم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.
- والرجالُ واجبهم إعداد أنفسهم لما فرض الله عليهم من نصرة المظلومين بكل ما أوتوا من سبيل.

والأمثلة كثيرة لا يتسع المقال لذكرها، ولكن أساسها كله: انصر دين الله ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

وختامًا: لا تقلِّل من أهمية إعداد نفسك إيمانيًّا بترك الذنوب والمعاصي بنية رفع البلاء عن إخوانك، فإن أساس الفرج والتمكين لعباد الله إصلاح النفوس والقلوب. وأنت جزء من هذه الأمَّة التي تطمح لنصر الله، فإذا أردت نصر الله فانصره أنت أولًا. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7]. ونصرة دين الله تكون بالقيام بدينه والدعوة إليه، فهذا من أعظم أسباب النصر. ثم اعلم أننا مهما فعلنا نصرةً لهؤلاء المستضعفين فإننا مقصِّرون، ولكن حسبنا أن الله يعلم حرقتنا ودمعاتنا ونيَّاتنا، وهو العليم الحكيم.

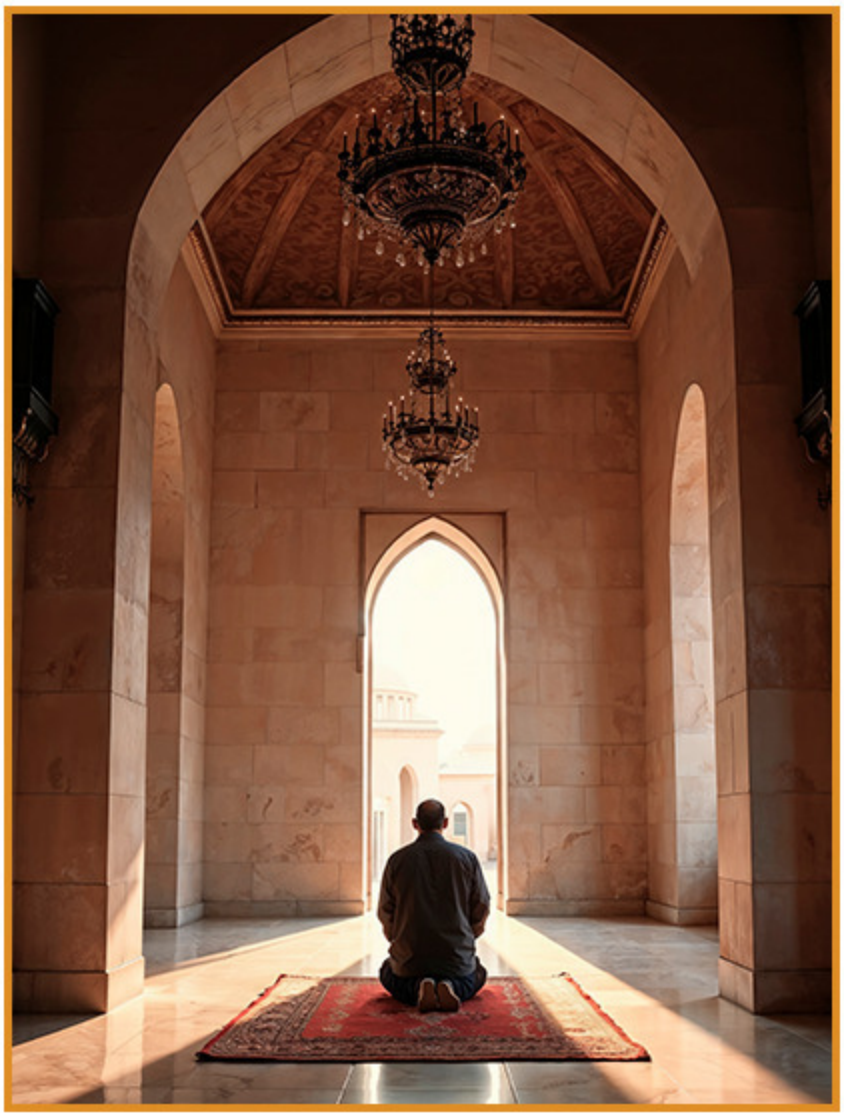

من يهن يسهل الهوان عليه

أ. أحمد مكحول
ماجستير فقه وتشريع إمام وخطيب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد؛ فلما دخل التتار بلاد المسلمين، وارتكبوا من المذابح ما لم يُسمع به في التاريخ، وذهب الناس يستنجدون برؤوس المسلمين هنا وهناك، وقَدِم الشيخ محيي الدين ابن الجوزي إلى دمشق رسولًا إلى الملك عيسى صاحب دمشق، فقال له: "إن التتار قد تغلَّبوا على البلاد وقتلوا المسلمين." فقال له: "دعني، أنا في شيء أهم من ذلك! حمامتي البلقاء لي ثلاثة أيام ما رأيتها". [النجوم الزاهرة: 262/6]

تبلُّد الأحاسيس والمشاعر موجود قديمًا وحديثًا، لا سيما عند أصحاب الجاه والمال والسلطان. ولكن في هذه الأيام، صرنا نرى تبلدًا في الأحاسيس والمشاعر تُحار منه العقول، وتعجز الألسنة عن وصفه. وماذا تقول؟ كما قال تعالى عن الأصنام التي يعبدها المشركون: (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [النحل: 21]

قال ابن كثير رحمه الله: (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ) أي: هي جمادات لا أرواح فيها، فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل.

فهناك فئات من الناس كأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، وإخوانهم يتعرضون في كل يوم للمجازر والقتل على أيدي أعداء الإسلام، الذين قال عنهم ربنا عز وجل:﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:" ما ذاك إلا لأن كفر اليهود عناد وجحود ومباهَتةٌ للحق، وغمط للناس وتنقُّص بحملة العلم. ولذلك قتلوا كثيرًا من الأنبياء، حتى هَمُّوا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة، وسحروه، وألَّبوا عليه أشباههم من المشركين – عليهم لعائن الله المتتابعة – إلى يوم القيامة."

فبينما إخواننا في غزة يُقتلون ويُسحقون ويُبادون، نتفاجأ بأقوام في نفس البلد – فلسطين – يغنون ويرقصون! ويزداد الأمر سوءًا عند رؤية الحدث أمام العيون: شباب وبنات يرقصون، وفتاة ترقص ويصفقون لها ويتضاحكون، ويتمايلون في جمع بين النساء والذكور، فبئس ما يفعلون!

وفي بعض المنتزهات، تعلو صرخات البنات والضحكات والتلذُّذ بسماع الأغنيات. فهذا الصنف والذي قبله كأنهم (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

هل هكذا يكون حال المسلمين عندما تنزل المصائب بإخوانهم وبجيرانهم، ممن طُرِدوا من بيوتهم وقُتِل أبناؤهم؟ هل هذا يرضي الله عز وجل؟ حتى ولو لم يكن هناك مصائب وشدائد، ألهذه الدرجة هم من مكر الله آمنون؟ (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) [الأعراف: ٩٩].

إن هذه البلادة التي سيطرت على هذا الصنف من الناس سببها موت القلب، وقلة الدين، وتدني مستوى الإيمان واليقين، وحب الدنيا ونسيان الموت والآخرة. فهم للدنيا يعيشون ويعملون، ولها يجمعون ويكدحون. فيا ويحهم! ما أقسى قلوبهم!!

قال تعالى: (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) [الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) [البقرة: ٧٤].

قال ابن القيم رحمه الله: "قد يمرض القلب ويشتد مرضه، ولا يعرف به صاحبه؛ لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها. بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا يُؤلِمه جراحات القبائح، ولا يُوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة." [إغاثة اللهفان].

فأقول لهؤلاء: اتقوا الله عز وجل، واعلموا أنكم من بعد الموت مبعوثون، وعلى كل صغيرة وكبيرة محاسبون. وبعد الحساب، يومئذٍ ينقسم الناس إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير؛ فريق السعداء وفريق الأشقياء.

قال سبحانه: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (103) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (104) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (107) ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108) [هود: ١٠٣-١٠٨]

تَذَكَّرْ وَقُوفَكَ يَـــــوْمَ العَرْضِ عُرْيَانَا

مُسْتَوْحِشًا قَلِقَ الأَحْشَـــــــاءِ حَيْرَانَا

وَالنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غَيْـــــظٍ وَمِنْ حَنَقٍ

عَلَى العُصَـــــاةِ وَرَبُّ العَرْشِ غَضْبَانَا

اِقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْـــــــدِي عَلَى مَهَلٍ

فَهَلْ تَرَى فِيـــــــهِ حَرْفًا غَيْرَ مَا كَانَا

فَلَمَّا قَرَأْتَ وَلَمْ تُنْكِـــــــــرْ قِرَاءَتَهُ

وَأَقْرَرْتَ إِقْرَارَ مَنْ عَرَفَ الأَشْيَاءَ عِرْفَانَا

نَادَى الجَلِيلُ خُـــــــذُوهُ يَا مَلَائِكَتِي

وَامْضُوا بِعَبْـــــدٍ عَصَى لِلنَّارِ عَطْشَانَا

المُشْرِكُونَ غَـــــدًا فِي النَّارِ يَلْتَهِبُوا

وَالمُؤْمِنُونَ بِـــــــدَارِ الخُلْدِ سُكَّانَا

قدوتنا هو رسول الله ﷺ، الذي قال: "مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى."، وقال ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا."

وقد كان اهتمامه ﷺ بالمسلمين متجليًا في كل حياته. فحين أتاه قوم من مُضَر عليهم علامات الفقر – حفاة الأقدام، ممزقو الثياب، ليس لديهم من حطام الدنيا شيء – تغير وجهه، وجعل يدخل ويخرج مهمومًا حزينًا. ثم صعد المنبر فحرض المؤمنين على الصدقة لكفاية هؤلاء الفقراء، فقال: "تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ." فجاء رجل بِصُرَّةٍ تعجز عنها يده، وتتابع الناس. عندئذ تهلل وجهه وعاد إليه إشراقه وتبسُّمه.

كما مكث شهرًا يدعو للمستضعفين من المسلمين الذين يعانون إيذاء المشركين واضطهادهم، وكان يقول في دعائه: "اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُسْلِمِينَ."

فهكذا يجب أن يكون المسلم: يشعر بارتباطه بإخوانه المسلمين في كل مكان، فيتألم لآلامهم، ويفرح لأفراحهم، ويبذل ما يستطيع لتفريج كرباتهم. وأقل أحواله أنه لا يغفل عن الدعاء لإخوانه بظهر الغيب.

فهل أنت كذلك يا مسلم يا فلسطيني؟

هل تهتم بأمور إخوانك المستضعفين في غزة؟

هل تتذكرهم بدعواتك؟

ولا يعني هذا الكلام أن يكون الواحد منا قد حبس نفسه عن الناس، أو منع نفسه من المباحات والطيبات، لا! بل المطلوب منك ألا تظهر بمظهر الإنسان الذي لا يعيش هموم إخوانه، ولا يأبه بما يجري حوله، كأنه من عالم آخر، متبلد الأحاسيس والمشاعر، يغني ويرقص وإخوانه تتطاير رؤوسهم وتتقطع أجسادهم في كل وقت وحين، وإلى الله المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أهل العلم وتحديات المرحلة

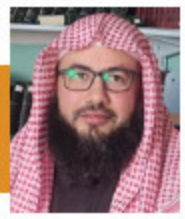

د. ضرغام عيسى الجرادات
أستاذ الفقه وأصوله / كلية العلوم الإسلامية- الظاهرية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه الطيبين الشرفاء، أما بعد:

فلا شك أن أهل العلم عليهم واجب عظيم بما استحفظهم الله من علم، وأخذ عليهم من عهد، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ)، فهم الملجأ عند اشتداد الخطوب، والموئل العلمي حينما تلتبس الأفهام وتطيش الأحلام. والاقتباس من نورهم واجب، والاقتداء بهديهم لازم. فإن هم تخلفوا عن دورهم أو أفرغوا حيّزهم، أمّ الناسَ من لا خلاق له، وتصدر كل متشبع بما لم يُعطَ.

ولأهل العلم وطلبته في هذه البلاد المباركة تكليف بعد التشريف، وتكليفهم له خصوصية لا تخفى، كما تواجههم تحديات لا تُجهل. **ومن أهم هذه التحديات:**

أولاً: جمع الكلمة والبعد التام عن كل ما يعكر انسجام المجتمع بأطيافه المختلفة، لا سيما مع حساسية المرحلة واختلاف الرؤى حول كثير من القضايا. قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. ومن واجب أهل العلم تثبيت الناس وربطهم بقضيتهم. وكان النبي ﷺ ملجأ الصحابة في الشدائد، فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: (كنا إذا احمرَّ البأس، ولقي القومُ القومَ، اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى إلى القوم منه) رواه أحمد بسند صحيح.

ثانياً: التوازن في متابعة الأحداث وتحليلها. فاشتغال المسلم بما يجدُّ من أحداث ووقائع لا بأس به إن كان فيه مصلحة واضحة، لكن لا ينبغي أن ينجر العالم إلى متابعة القليل والكثير منها مع التحليل، فتُصيِّره الأحداث وتلاحُقها محللاً سياسياً. بل الواجب الالتفات إلى كل ما ينفع المسلم في دنياه وينقله من دائرة التأثر إلى دائرة التأثير. والتوسط في هذا الأمر مطلوب أشد الطلب في هذه المرحلة.

ثالثاً: تبشير الناس من غير مبالغة ولا تحديد موعد لانتهاء الأزمات. فإن التبشير من هدي البشير النذير ﷺ، وهو من سمة مبلغي الدين الحنيف. فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن، فقال: (يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا) أخرجه مسلم. ولكن تحديد وقت معين لانتهاء حدث أو بلاء، أو بداية حدث، فعلمه عند الله تعالى وحده، ومن اجتهد في شيء منه فلا ينبغي أن يكون اجتهاده إلا من قبيل إنعام النظر في الآيات المسطورة والآيات المنظورة.

رابعاً: التوازن في تناول الرؤى والمنامات وأثرها على الواقع. فبعض الناس قد شطَّ، فعوَّل على بعض المنامات في تحديد انتهاء كثير من الأزمات، وصارت قراءته الاجتهادية في حكم الواقع لا الأحلام. وصحيح أن النبي ﷺ قال: (لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة) أخرجه البخاري. إلا أن تأويل المنامات على وجه محدد لا يمكن الجزم به ولا بناء تحليل دقيق عليه، فإن من شأن ذلك أن يرجع بنتائج عكسية على المؤوِّل والمؤوَّل له والمجتمع.

خامساً: التوازن في تنزيل النصوص الواردة في أحداث وفتن وملاحم آخر الزمان. فقد لوحظ أن كثيراً من طلبة العلم يسارعون في تنزيل نصوص ثابتة أو غير ثابتة على أحداث بعينها أو أشخاص بأعينهم، ثم لا يتحقق ذلك التنزيل ولا يصدق التأويل. ولا شك أن ضغط الواقع وتسارع الأحداث يدفع بعض طلبة العلم إلى نظر النصوص نظر المستنطق لها، المستعجل لتأويلها، أو المستشرف لتنزيلها. وقديماً قال بعض علماء الإسلام لما دهم المغول بغداد واجتاحوا العالم الإسلامي: إن المغول هم يأجوج ومأجوج. ولا شك أن هذا القول خاطئ؛ فإن ظهور يأجوج ومأجوج لا يكون إلا بعد نزول عيسى عليه السلام، كما ثبت في الصحيح.

وأختم بما رواه ابن وهب عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال: "ما علمته فقل به، ودل عليه، وما لم تعلم فاسكت، وإياك أن تقلد الناس قلادة سوء".

وَانْتَصَرَ الطُّوفَان

الابْتِلاءُ بالمِحَنِ والجَزاءُ بالمِنَـن

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ الأَمِين ﷺ، وعَلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِين، أمَّا بَعْد:

كثيرةٌ هي الجرائمُ والمجازِرُ التي اقتُرِفَتْ، بِحَقِّ أهلِنا في بَيتِ المَقْدِسِ -فِلَسْطِيْن-، وعُمومِ بِلادِ المُسْلِمِين ، وغَزِيْرَةٌ هي الدُّرُوسُ والعِبَرُ التي تُستفادُ مِن هٰذه الحَروبِ الظالمةِ الفاشِيَّةِ النَّازِيَّةِ الضَّرُوسِ عَلىٰ المُسْتَضعَفين؛ فما هي أهمُّ هٰذه المَحَطَّات ؟!

أولاً: الابتِلاءُ سُنَّةٌ مِن سُنن اللهِ تعالى، وقد ابتُلي الأنبياءُ والمرسَلونَ عليهم السلام وصالِحُ المؤمنينَ علىٰ مرِّ التاريخ، قال اللهُ تعالى: ﴿ولَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ ولَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: 4]، وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۞ ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 1-3]، وقال تعالى: ﴿ولَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ والْجُوعِ ونَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ والأَنفُسِ والثَّمَرَاتِ وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ورَحْمَةٌ وأُوْلَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155-157]، وقال رَسولُ اللهِ ﷺ: 〔 أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً ؛ الأَنْبِياءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلىٰ الرَّجُلُ عَلىٰ حَسْبِ دِينِهِ، فإنْ كانَ في دِينِهِ صَلْباً اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وإنْ كانَ في دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلىٰ حَسْبِ دِينِهِ، فما يَبْرَحُ البَلاءُ بالعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلىٰ الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيْئَةٌ〕 (رواه الترمذيُّ في سننه؛ برقم: 2398، وقال : حَسَنٌ صحيح)

ثانياً: الابتِلاءُ والمِحَنُ والشَّدائدُ قد توالتْ علىٰ الأُمّةِ الإسلاميَّةِ مُنذُ البَعثةِ المحمّديةِ الكَريمة، فحلقاتُها مُتشابِهةٌ تاريخياً. فالمِحَنةُ الحاليةُ التي يَعيشها أهلُ بَيتِ المَقْدِسِ -فِلَسْطِيْنَ-، بَلْ وعُمومُ بِلادِ المُسْلِمِينَ، ليْسَتْ أُولىٰ الشَّدائدِ والمِحَن، بل سبقَتْها مِحَنٌ كثيرةٌ قاسيةٌ؛ وعَليها شَواهدُ كَثيرةٌ في التاريخ ، فهٰذا الشَّعْبُ المُرابِطُ المُجاهِدَ الصَّابِرُ العَزِيْزُ الكَرِيمُ ابتُلي في عَصرِنا الحاضِرِ بِما لا يُعَدُّ ولا يُحْصَىٰ مِن العَذابات، وما لا يخفىٰ علىٰ أحدٍ مِن الدُّوَلِ والمُجتَمَعات؛ فتعَرّض للقَتلِ والإعدامِ والمَذابِحِ والمَحارِقِ والمجازِرِ، والطَّردِ والتَّهجِيرِ والتَّهْدِيمِ والتَّدمِيرِ والتَّجْوِيعِ والتَّنْكِيل.

وإذا قَلَّبْنا صَفْحاتِ التّاريخِ، نجدُ أنّ الابتِلاءَ والمِحَنَ والشَّدائدَ رافقتْ المسلمينَ في مَراحِلِ أجيالِهِم المُتعاقِبَةِ كافَّة، وفي الحُرُوبِ التي شَنَّها عَليهم أعداءُ اللهِ وأعداءُ هٰذا الدِّين كافَّة.... ففي غَزوَةِ أُحُدٍ تألّم الصَّحابةُ (رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنهُم) وامتُحِنوا وزُلزِلوا، واستُشهِدَ مِن خِيارِهم سبعونَ رَجُلاً، وكان مِنهم حَمزَةُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ (رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنهُ) عَمُّ رَسولِ اللهِ ﷺ. وفي غَزوَةِ الأحْزابِ بَلغَ الكَرْبُ والشِّدةُ مَبلَغاً عَظيماً؛ وصَفَها اللهُ بقوله: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ [الأحزاب : 9-10]. ولكنَّ اللهَ سُرعانَ ما أعَزَّ الإسلامَ وأكْرَمَ الأُمَّةَ بالنَّصْرِ والتَّمكِينِ على العَرَبِ والعَجَم كافَّة، وثبَّت اللهُ أركانَ دولةِ الإسلامِ العالَمِيَّة... ولما سَقَطَتْ بَغدادُ عاصِمةُ الخِلافةِ الإسلامِيّةِ سنة 656 هـ علىٰ يَدِ المَغُولِ الذينَ ارتكبوا مجازِرَهم الشَّنيعَةَ، ظنَّ الجُبَناءُ أنّ رايةَ الإسلامِ قد نُكِّسَتْ، حتىٰ إنَّ بعضَ المؤرِّخينَ قد نَعَوا الإسلامَ، ولكنْ لم تمضِ سَنَتانِ حتىٰ وَقعَتْ مَعركةُ عَينِ جالوتَ سنةَ 658 هـ ، فانْدَحَرَ المَغُولُ وهُزِموا شَرَّ هَزيمةٍ، وانتَصَرَ الطُّوفان،ولما سَقَطَتْ دَولَةُ الخِلافةِ الإسلاميةِ في بداياتِ القَرنِ العِشرينَ علىٰ يَدِ الصُّهْيونِيَّةِ النَّازِيَّةِ والصَّلِيبِيَّةِ الفاشِيَّة، وتمدَّدَتْ دُوَلُ الاحتِلالِ في بلاد الإسلام، ظنَّ بعضُ العَلمانِيّينَ وأذنابُ المُستَشرِقِينَ أنّ الإسلامَ قد انتهىٰ وخَبَتْ جَذْوَتُهُ ولا سَبيلَ لعَودَتِهِ إلىٰ الحياة، ولكنَّ اللهَ قيَّضَ للمُؤمِنِينَ صَحوةً كُبرىٰ في أنحاءِ العالَمِ الإسلاميّ، أرجَعَتْ الإسلامَ إلىٰ صَدارةِ الأحداث، رغم أنفِ المُتَخاذِلِينَ وكَيْدِ الحاقِدِين.

ثالثاً: الابـتلاءُ والمِحَـنُ والشَّـدائدُ تكشِـفُ أُصُـولَ النَّـاسِ ومَعادِنَهُـم، ففيهـا يتميَّـزُ المُسـلِمُ الصَّـادِقُ عـن المنافِـق، ويَظهَـرُ الخَلْـقُ علـىٰ حَقيقتهـم، ويُعَـرّىٰ المنافِقـونَ والمُرجِفـونَ الفَتّانُـونَ علـىٰ بَشاعَتِهِم؛ فقـد قـال اللـهُ: ﴿لِيَمِيـزَ اللّـهُ الْخَبِيـثَ مِـنَ الطَّيِّـبِ﴾ [الأنفـال: 37]، وقـال: ﴿وَكَذَلِـكَ نفَصِّـلُ الآيَـاتِ وَلِتَسْـتَبِينَ سَـبِيلُ الْمُجْرِمِيـنَ﴾ [الأنعام: 55]، ولـولا المصائـبُ والشَّـدائدُ ما انْفَضَحوا وما تعـرَّف عليهـم العاقِلـونَ والغافِلـونَ، ولمَـا أدركـوا مَـدىٰ خَطَرِهـم وخِيانَتِهـم، ففـي هٰـذه الشَّـدائدُ عِبـرَةٌ لأُولِـي الألْبـابِ وقَـومٍ يَعقِلُـون.... فقـد فُضِحَـتْ أقـزامٌ، وجُـرِّدَتْ أقلامٌ، وجُلِّيَـت حَقائـقُ، وكُشِـفَتْ خَبَايـا، وعُرِّيَـتْ خَفايـا ؛ رُبَّمـا كانَـتْ سَـتَبقىٰ فـي دَهاليـز الكِتمـان، مَـعَ مـا تَحمِلُـهُ فـي طَيّاتِهـا مِـن اللطائـفِ ومـا تَعجَـزُ عنـه الأفهـام!! فَشُـكْراً لِعَدُوِّنـا الـذي أيْقَظَنـا علـى أصواتِ القَذائـف وآهاتِ الثَّكالَـىٰ وعَذاباتِ السُّـجُون ، وشُـكْراً لهُولوكوسْـت الأُوشـتِيفيز المَجْنُونِ، التي شَنَّها بَنُو صُهيُونَ علىٰ المَسْرَىٰ المُقدَّسِ المَشْـجُون ، وهٰكـذا شَـأنُ هٰـذه الخُطُـوبِ؛ تُجَلّـي المَسـتُورَ، وتبيِّن المكْنُون...

فَجَزَىٰ اللهُ الشَّـدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ وَإِنْ كَانَـتْ تُغَصِّصُنِـي بِرِيقِـي
وَمَا شُكـرِي لَهَا حَمْداً وَلَكِنْ عَرَفْتُ بِهَا عَـدُوِّي مِنْ صَدِيقِـي

رابعـاً: إنّ الدِّمـاءَ الزَّكِيَّـةَ التـي سـالَتْ علـىٰ أرضِ الإسْـراءِ والمِعْـراجِ وغَـزَّةَ العَصِيَّـةِ والضَّفَّـةِ الأبِيَّـة، وأشْلاءَ الأطفـالِ والنِّساءِ التي مُزِّقَـتْ، والحُرُماتِ التي انْتُهِكَـتْ، تُثبتُ بما لا يَـدَعُ مجالاً للشَّـكِ، زَيـفَ الأُكذُوبَـةِ الكُبـرىٰ التـي أراد بَعـضُ المُغْرِضِيـنَ أن يُسـوِّقوها علـىٰ مَـدىٰ أكثرِ مِـن ثلاثيـنَ عاماً ؛ تحـت الشِـعاراتِ الخدّاعـةِ البرّاقـةِ - كالـسَّلامِ المزعُـومِ والتَّطْبِيعِ المأفُون- !!

أينَ السَّلامُ وما تَزالُ مَساجِدي في كُلِّ يَـومٍ تُستَباحُ وتُحـرقُ ؟!!
أينَ السَّلامُ وهٰذه أرواحُنا أينَ مِن دُونِ ذَنْبٍ كُلَّ يومٍ تُزهَـقُ ؟!!
السَّـلامُ وأُمَّـتي مَغلُولَةٌ ودَمِي علىٰ كُلِّ الخَناجِرِ يُهـرَقُ ؟!!
أينَ السَّلامُ وها هُمُ أطفالُنا قَبْلَ الفِطام تَكَسَّروا وتَمَزَّقوا ؟!!
هٰذا سَـلامُ الخانِعينَ وعِنـدَنا شَجَرُ الشَّـهادَةِ كُلَّ يَومٍ تُورِقُ ؟!!

فلا بُـدَّ أنْ نَصْـدَعَ بالحقيقةِ القرآنيةِ الجَلِيّة؛ التـي بَيَّـن لنا اللـهُ مَعالِمَها وعِنْوانَها؛ بِقولِه: ﴿وَلَا يَزَالُـونَ يُقَاتِلُونَكُـمْ حَتَّـىٰ يَرُدُّوكُـمْ عَـنْ دِينِكُـمْ إِنِ اسْـتَطَاعُوا﴾ [البقـرة: 217]، وقولِـه: ﴿قَـدْ بَـدَتِ الْبَغْضَـاء مِـنْ أَفْوَاهِهِـمْ وَمَـا تُخْفِـي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: 118].

خامسـاً: كَشَـفَتْ هٰـذه الشَّـدائدُ وأكَّـدَتْ علـىٰ الحقيقـةِ الثابتـةِ؛ وهـيَ أنّ مِلّـةَ الكُفـرِ واحـدةٌ، وأظهَـرَتْ لنـا زَيـفَ الشِّـعاراتِ البرّاقـةِ التـي تُنـادِي بهـا الـدُّوَلُ الغَرْبِيَّـةُ وعالَـمُ الكُفْـرِ ومُعَسْـكَرُ النِّفـاق؛ مِـن شِـعاراتِ حُقُـوقِ الإنْسـانِ، والديمقراطِيّـة والعَدالـةِ، وتَحقِيـق الـسَّلام ... وفَضَحَـتْ هٰـذه الهَجمَـةُ الشَّرِسَـةُ المَحْمُومَـةُ أكذُوبَـةَ مجلِـسِ الأمْـنِ وأُلعُوبَـةَ هَيئَـةِ الأُمَـمِ وهَزَالَتَهـا، ونَواياهـا الخَبِيثـة. ولقـد خَبَّرَنـا اللـهُ؛ بالقَـولِ الفَصْـل: ﴿وَلَـن تَرْضَـىٰ عَنـكَ الْيَهُـودُ وَلَا النَّصَـارَىٰ حَتَّـىٰ تَتَّبِـعَ مِلَّتَهُـمْ قُـلْ إِنَّ هُـدَى اللَّـهِ هُـوَ الْهُـدَىٰ وَلَئِـنِ اتَّبَعْـتَ أَهْوَاءَهُـم بَعْـدَ الَّـذِي جَاءَكَ مِـنَ الْعِلْـمِ مَا لَـكَ مِـنَ اللَّـهِ مِـن وَلِـيٍّ وَلَا نَصِيـرٍ﴾ [البقرة: 120]. وقـد فَضَحَهُـم اللـهُ ﷻ فـي قولـه: ﴿لَا يَرْقُبُـونَ فِـي مُؤْمِـنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّـةً وَأُوْلَئِـكَ هُـمُ الْمُعْتَـدُونَ﴾ [التوبـة: 10]، فيـا أيُّهـا العُـقَلاء ؛ انعَتِقـوا مـن كُلِّ هٰـذه المَسْـرَحِيّاتِ والهَيئـاتِ الدَّوليّة العَجْفاء.

فأينَ النِّظـامُ العالميُّ ؟!! أما له أثرٌ ؟!! ألم تنعِـقْ به الأبـواقُ ؟!!
أين السَّـلامُ العالميُّ؟!! لقد بدا كَذِبُ السَّلامِ وزاغَتْ الأحـداقُ !!!
يا مجلسَ الخَوفِ الذي في ظِلِّهِ كُسِرَ الأمـانُ وضُيِّع الميثـاقُ !!!!
أوَ ما يُحرِكُكَ الذي يجـري لنا ؟!! أو ما يُثيرك جُرحُـنا الدَّفَّـــاقُ ؟!!

سادسـاً: كَشَـفَتْ هٰـذه الشَّـدائدُ وأكَّـدتْ علـىٰ حقيقـةِ الحُـكّام الطُغاةِ ورُؤوسِ الخِيانَـةِ وأتباعِهـم، الذيـن لا يَفتأونَ يُشـارِكونَ فـي هٰـذه الجَرائـمِ النُّكـراءِ بأفعالهـم وأقوالهـم وأموالهـم، فالذيـن يحاصِـرونَ غَـزَّةَ هاشِـمٍ، ويمنعـونَ عنها المَعونـاتِ الإنْسـانيةَ، والإسْـعافاتِ الضَّروريّـةَ، بَـلْ يَدفَعونَ أموالَهم لمُسانَدَةِ المُعتَدِينَ المُجْرِمين!!

ويُبارِكُـونَ ويُصَفِّقـونَ للإبـادَةِ والتَّدْمِيْـرِ والتَّهْجِيْـرِ والتَّحْريـقِ والتَّجْوِيْـعِ والتَّنْكِيْـلِ وانتِهـاكِ الأعـراضِ وتَدْنِيـسِ المُقَدَّسـاتِ وحُرُمـاتِ المؤمِنيـن، وإهانَـةِ قُدُسِـيَّةِ الكِتـابِ الكَرِيمِ والنُّـــورِ المُبين!! والإعلامِيُّونَ المُرْجِفُـونَ الذين

يُسَخِّرون أقلامَهُم وألسِنَتَهُم علىٰ (المحطات الفضائيّةِ !!)، لتشجيعِ وَحْشِيَّةِ الحِقْدِ الأَسْوَدِ الدَّفِين!! أقول: لكِنَّ اللهَ أطفأ نارَهُم وخَيَّبَ آمالَهُم وسَوَّدَ ذِكْرَهم؛ إنَّهُ لهُم لبالمِرْصادِ مُرتَقِب، ولِجَرائمِهِم مُنْتَقِم .

سابعاً: لا بُدَّ لنا مِن الصَّبْرِ والثَّباتِ حتىٰ الممات، ففي المِحَنِ مِنَحٌ بأمْرِ اللهِ، فكلما اشتَدَّتْ الخُطوبُ، وزادتْ الكُروبُ؛ اقتربَ الفَرَجُ بإذن اللهِ تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح: 5-6] ... أوَ لَيْسَ لمَّا اشتدَّ حِصارُ كُفّارِ قُرَيشٍ علىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ ؛ أخرجهُ اللهُ سالِماً مَحفُوظاً، ولمَّا استَحْكَمَ حِصارُ فِرعَونَ ومَلَئِهِ لموسىٰ عليه السلام وقَومِهِ؛ أخرجهُ اللهُ تعالى ناجِياً مَرْشوداً: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 61-62]؛ فهٰذه هيَ سُنّةُ اللهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 171-173].

ولكِنَّ كُلَّ ذٰلِكَ مَرهُونٌ بأمرَينِ لا بُدَّ مِن تحقُّقِهما؛ تَقوىٰ اللهِ تعالى، والصَّبْر، قال اللهُ تعالى: ﴿وإن تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ [آل عمران: 120]، وقالت عالى: ﴿وإن تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90]، وقال تعالى: ﴿ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۝ ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ۝ ومَن يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۝ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۝ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ [الطلاق: 2-3]، وقال تعالى: ﴿ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ [الطلاق: 4]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ولا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: 110]. وكتب عُمَرُ بنُ الخَطّاب (رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنهُ) إلىٰ أبي عُبَيدَةَ بنِ الجَرّاحِ (رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنهُ): (أما بَعدُ، فإنه مهما يَنزِلُ بِعَبدٍ مُؤمِنٍ مِن شِدَّةٍ يجعلُ اللهُ بعَدَها فَرَجاً، وأنّه لَن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَين، وإنّ اللهَ تعالى يقولُ في كِتابِه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصَابِرُوا ورَابِطُوا واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]. (رواه مالك وابن أبىٰ شيبة والحاكم والبيهقي في شُعَب الإيمان).

وخُلاصَةُ الأمر: أنَّ النَّصْرَ والعِزَّةَ والعاقِبَةَ والسِّيادَةَ والتَّمكِيْنَ ؛ لِعِبادِ اللهِ المُؤمِنينَ الصَّابِرِينَ المُرابِطِينَ المُجاهِدِينَ المُتَّقِيْن... وأنَّ الخِزْيَ والعارَ والذِّلَّةَ والصَّغارَ والهَزيْمَةَ والانْهِيارَ ؛ للكَفَرَةِ المُفْسِدِينَ والخَوَنَةِ المُنافِقِينَ والظَّلَمَةِ المُجْرِمِين .... فقد قال اللهُ تعالى -للظالِمِين المُجْرِمِين-: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت: 22]. وقال اللهُ تعالى -في المقابل- للمُؤمِنينَ المُتَّقِيْن-: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55].

فهٰذا هو حُكْم اللهِ تعالى المَضْمُون، ووَعدُهُ الذي لا يَتَخَلَّفُ أيُّها المُؤمِنون.... ونحنُ بِهِ واثِقونَ و راضُونَ

أنا القدس أوطاني

أ. نواف العامر
أديب وشاعر

أنا القدس أوطـــاني ... من المحـــراب إخواني
من الوديان صادحـــة ... من الآيـــات رضواني
أهيم بآية الإســـراء ... إلى الأنفـــال جيراني
أردد آية الكـــرسي ... أقاتـــل روح شيطاني
وأعلي قيمة الإيمـــان ... وأرجـــوا نيل أفناني
هي الأوطان يا ولـــدي ... تحلق دون جنحـــان
تحلق يا ربا ضلـــعي ... يروم القلب تحنـــاني
أيا وطنا يناديـــي ... ونعم الـــدار أوطاني
ونعم الأهل تسكنهم ... ويسقي الحب شرياني
أيا جيران أمتنـــا ... ورب الكـــون أعطان
ورب الكـــون أسكنني ... بـــذات الأرض أغناني
أليس الأنـــس حادينا ... وذكـــر الله واساني
إلى العليـــاء نرقبها ... وبئس الـدرب خذلاني
وبئس الـــذل ديدنها ... وبئـــس الخزي عرياني
فلا عصـــف يفرقنا ... ولا الدينـــار أغراني
ألا هبـوا بفاتحـــة ... إلى الفرقـــان عمراني